الرسالة

(أفسس ٤: ١–٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلُكوا كما يَحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بها* بِكُلِّ تواضُعٍ ووَداعةً وبِطُولِ أناةٍ محتَمِلَين بعضُكم بعضًا بالمحبَّة* ومجتَهدينَ في حِفظِ وِحدةِ الروحِ برباطِ السلام* فإنَّكم جَسدٌ واحدٌ وروحٌ واحد كما دُعيتُم إلى رجاءِ دعوتِكُم الواحِد* ربٌّ واحدٌ وإيمانٌ واحدٌ ومعموديَّةٌ واحدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميع واحدٌ هو فوقَ الجميعِ وبالجميعِ وفي جميعِكم* ولكلِّ واحدٍ منّا أُعطِيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهبةِ المسيح.

جسدٌ واحد
وروحٌ واحد

إذا أردنا أن نضع عنوانًا لرسالة الرسول بولس إلى أهل أفسس، يمكن أن يكون «رسالة الوحدة». أوّلًا، إنّها الوحدة بين كلّ الأمم التي خلقها الله الواحد ونفخ فيها روحه القدّوس، وثانيًا هي الوحدة بين أبناء كنيسة المسيح، التي هي جسده الواحد. يدعو الرسول بولس سامعيه إلى السلوك، على أساس هذه الوحدة المرجوّة، وفق قانون المحبّة، محبّة الله في المسيح يسوع الذي بذل نفسه من أجلنا نحن الخطأة: «أطلب إليكم أنا الأسير في الربّ، أن تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتم بها، بكلّ تواضع وودعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضًا في المحبّة» (أف ٤: ١–٢)؛ «الله الذي هو غنيّ في الرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلّصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويّات في المسيح يسوع» (أف ٢: ٤–٦).

العدد ٢٠١٩/٤٩

الأحد ٨ كانون الأول

تذكار أبينا البار بتابيوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثالث

يكوّن المقطع الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم (أف ٤: ١–٧)، مختصرًا لفحوى الرسالة: الله، الذي خلق كلّ الشعوب، دعاها إلى أن تكون متّحدة. لكنّ هذه الوحدة تقتضي أن تكون العلاقة بين البشر قائمة على المحبّة، محبّته هو. فقد وضع فينا روحه المحيي، واهبًا إيّانا هذه الحياة التي نحياها.

إلّا أنّ الإنسان حاول الاستقلال عن الله، ووضع نفسه مكانه، ففشل. أدّى هذا الفشل إلى انقسام الشعوب وتقاتلها بعضها مع البعض الآخر، على أساس مَن الأفضل والأقوى... حتّى إنّ الشعب الذي قَبِل الله، أي الشعب اليهوديّ، لم يستطع تخطّي أنانيّته، معتبًرا نفسه شعب الله المختار، رغم أنّ الله حاول، من خلال أنبيائه، أن يفتح ذهن هذا الشعب على المحبّة، محبّة الله الخالق. هذا ما دفع الله، بسبب محبّته الكبيرة للبشر، إلى أن يرسل

ابنه الوحيد ليظهر هذه المحبّة فيه، المحبّة التي تبذل نفسها حتّى الموت من أجل الآخرين، فيكون لنا مثالاً يُحتذى حتّى نستطيع العودة إلى الله، محقّقين هذا الوحدة: «ليجمع كلّ شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض» (أف ١: ١٠).

تقترن هذه الدعوة إلى الوحدة، بشكل أساسيّ، بنعمة الله التي يغدقها على الناس، حتّى يستطيع كلّ واحد القيام بالعمل الملقى على عاتقه. «النعمة» تعني «الهديّة»، والهديّة لا تُعطى عادةً لمن يستحقّها، وإلّا لكانت «مكافأة». علينا أن نعي ذلك جيّدًا، كي لا نعتبر أنّ الله افتدانا بدم ابنه لأنّنا نستحقّ ذلك، أي لأنّنا أناس صالحون وبلا خطيئة. هذا واضح من كلام الرسول بولس، في الرسالة نفسها، عندما يقول إنّنا «بالنعمة مخلّصون»، أي إنّ الله أعطانا هذا الخلاص «هديّةً»: «الله الذي هو غنّي في الرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلّصون... لأنّكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطيّة الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحدٌ» (أف ٢: ٤–٩).

«ربّ واحد، إيمانٌ واحدٌ، معموديّة واحدة» (أف ٤: ٥). تقوم الوحدة على ارتباط أطراف متعدّدة بنقطة ارتكاز واحدة. نقطة الارتكاز، في الموضوع المطروح أمامنا، هي الله. الله الذي خلق كلّ الخليقة هو مرجعها الوحيد، منه خرجت وإليه يجب أن تعود، إضافةً إلى أنّ الله نفخ في الناس روحه القدّوس، هذا الروح الواحد الذي منحهم الحياة. إنّ ما قسّم الناس وفرّقهم هو أنّهم وضعوا نقاط ارتكاز متعدّدة، حين اخترعوا لهم مرجعيّات غير الله: الآلهة، الملوك، الزعماء، المال... إذًا، على الإنسان العودة إلى نقطة الإرتكاز الواحدة، أي الله خالقه. الإيمان هو طريق العودة، إنّه الإجابة على هذه الدعوة. الإيمان هو أن يؤمّن الإنسان لله، أن يقبله على أنّه مرتكزه ومصدر حياته الوحيد. أمّا المعموديّة فهي الوسيلة التي فيها يعود الإنسان إلى صورته الأولى، صائرًا خليقة جديدة.

لا تتحقّق الوحدة فقط بوحدة الأفكار والمواقف، بل تستلزم سلوكًا مبنيًّا على ذلك. مَن يقبل الله عليه السلوك بحسب وصاياه. لذلك، يدعو الرسول سامعيه إلى أن يكون سلوكهم قائمًا على المحبّة: «أطلب إليكم أنا الأسير في الربّ أن تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتم بها، بكلّ تواضع ووداعة وبطول أناةٍ، محتملين بعضكم بعضًا في المحبّة» (أف ٤: ١–٢).

تجدر الإشارة إلى أنّ اختلاف البشر لا يشكّل أبدًا عائقًا عمليًّا أمام تحقيق الوحدة. يشرح الرسول بولس ذلك من خلال تصوير الوحدة بصورة الجسد البشريّ، إذ يطلق على الكنيسة تسمية «جسد المسيح» (٤: ١٢). رغم تعدّد الأطراف والوظائف في الجسد الواحد، إلّا أنّ الرأس يوحّده ويشكّل مصدر وحدته، وهو الذي يعطي الأوامر ليقوم كلّ عضو بوظيفته. لكي يكون الجسد كاملًا، على كلّ عضوٍ أن يقوم بوظيفته على أكمل

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠–١٧)

في ذلك الزمان كان
يسوعُ يعلّمُ في أحدِ
المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا
بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ
منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً
وكانت منحنيةً لا
تستطيعُ أن تنتصبَ
البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ
دعاها وقال لها إنَّك
مُطلَقةٌ من مرضِكِ*
ووضع يدَيهِ عليها وفي
الحال استقامَتْ ومَّجدتِ
اللهَ* فأجاب رئيسُ
المجمع وهو مغتاظٌ
لإبراءِ يسوعَ في السبتِ
وقال للجمع هي ستَّةُ
أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها.
ففيها تأتون وتَسْتَشفون
لا في يوم السبت*
فأجاب الربُّ وقال يا
مُرائي أليس كلُّ واحدٍ
منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ
في السبتِ مِنَ المذودِ
وينطلِقُ به فيسقيهِ*
وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ

ربَطَها الشيطانُ منذ ثماني عَشرةَ سنةً أمَا كان ينبغي أن تُطلقَ من هذا الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومه وفرح الجمعُ بجميع الأمور المجيدةِ التي كانت تصدر منه.

تأمل

أطلب إليكم أن تسلكوا «بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضًا بالمحبة».

حقًا، أيّها الإخوة الأعزّاء، ليس في وسع أحدٍ قطّ أن يُعفي نفسه من محبّة أعدائه. فمن الممكن أن يُقال لي: «إنّي لا أستطيع الصوم، ولا أستطيع الصلاة طوال الليل». ولكن، هل يمكن أن يقال: «لا أستطيع أن أحبّ»؟ يمكن القول: «إنّي لا أستطيع بذل كل أموالي للفقراء وخدمة الله في دير»، لكن، لا يمكن القول: «إنّي لا أستطيع أن أحبّ». فتقول لي: «لا أستطيع أن أحرم نفسي وجه؛ وكما هي الحال في الجسد، هكذا يمنح الله كلّ عضو في جسده–الكنيسة، موهبةً معيّنة، وعلى كلّ شخص العمل وفق موهبته حتّى يتحقّق كمال الجسد: «هو أعطى البعض أن يكونوا رسلًا والبعض أنبياء والبعض مبشّرين والبعض رعاة ومعلّمين، لأجل تكميل القدّيسين، لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعًا إلى وحدانيّة الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسانٍ كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١١–١٣).

حَبَل القدّيسة حنّة

تعيّد كنيستنا المقدّسة في التاسع من كانون الأوّل، أي قبل تسعة أشهر من عيد ميلاد السيّدة، لحبل القدّيسة حنّة بوالدة الإله. حنّة، معنى اسمها «نعمة»، وهي قد نالت نعمة من الله بأن حبلت في شيخوختها، رغم عقرها، وأنجبت مَن ستصير أمًّا لابن الله، لذلك أُعطيَت حنّة، مع يواكيم زوجها، لقب «جدَّي الإله». أدركت الكنيسة الأرثوذكسيّة أهمّيّة هذين البارَّين وميَّزتهما عن باقي القدّيسين، فرتّبت أن تُطلب شفاعتهما وأن يُذكر اسماهما مع باقي القدّيسين في ختم كلّ الصلوات.

صبر البارّان يواكيم وحنّة على حالة العقر، رغم المهانة التي كانت تنتج عنها. لقد عرفا أنّ حياة البّر، ولو ترافقت مع عقرٍ جسديّ، أفضل من الإنجاب والعيش بعيدًا عن الله، لأنّ ما يفيد الإنسان هو قربه من الله والعيش بحسب وصاياه. صبر يواكيم وحنّة على حالتهما الجسديّة، فصار صبرهما سببًا للإنجاب والتخلُّص من عار العقر، وأهّلهما برُّهما لأن يصبحا آخر زوجَين في سلسلة نسب المسيح، وأقرب زوجَين إليه بالجسد، لأنّ ابنتهما العذراء مريم، التي نالت لقب «والدة الإله»، لم تعرف زواجًا.

لا يذكر العهد الجديد أيّ أمر عن يواكيم وحنّة، لكن، بحسب التراث الكنسيّ، كان الزوجان بارَّين وتقيَّين، وكانت حنّة عاقرًا. صلّى الزوجان البارّان كثيرًا إلى الله لينعم عليهما بالأولاد، لأنّ الزواج كان يكتمل بالإنجاب، وعدم الإنجاب كان يعتبره الكثيرون لعنةً وتخلّيًا من الله. لكنّ الله استجاب لطلبتهما في الوقت الذي حدّده هو؛ فقد انتظر أن تتجاوز حنّة سنّ الإنجاب لتكون الأعجوبة مضاعفة، أي إنّ الله أظهر قدرته ونعمته من خلال أمرين: الأوّل عندما جعل العاقر التي لا تنجب أولادًا تحبل، والثاني عندما جعل الحبل يتمّ بعد تخطّي المرأة سنّ الإنجاب. لقد أرسل الله ملاكًا يقول لحنّة إنّ صلاتها وصلاة يواكيم استُجيبَت وإنّ الله سوف ينعم عليهما بمولود يكون بركةً لكلّ المسكونة، فآمن البارّان بكلام الملاك رغم تخطّيه المنطق البشريّ، وحبلت حنّة بوالدة الإله مريم.

الكنيسة الكاثوليكيّة تسمّي عيد حبل حنّة «عيد الحبل بلا دنس»، ولا بدّ من إلقاء بعض الأضواء على هذا الأمر لكي نفهم سبب عدم التوافق اللاهوتيّ حول هذا

الموضوع. تتّفق الكنيستان الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة على أنّ الحبل بالعذراء مريم، وإن كان فيه تدخّل إلهيّ، إلاّ أنه مثل أيّ حبل طبيعيّ ينتج عن التقاء جسديّ بين الزوجين. أمّا ما لا توافق عليه بين الكنيستين، فهو اعتبار الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ العذراء مريم وُلدت خالية من آثار الخطيئة الأصليّة أو الجدّيّة (نسبةً إلى الجدَّين الأوّلَين آدم وحوّاء). ترى الكنيسة الأرثوذكسيّة في هذا التعليم انتقاصًا من دور العذراء مريم في القبول الطوعيّ لمشيئة الله، وكأنّها لم تكن تستطيع أن ترفض كلام الملاك جبرائيل عندما بشّرها بأنّها سوف تلد ابن الله. أمّا الاستنتاج الثاني فهو أنّ العذراء مريم، إن كانت تخلّصت من آثار الخطيئة الجدّيّة منذ الحبل بها، فذلك يعني أنّها حصلت على الخلاص قبل تجسّد ابن الله الذي هو المخلّص الوحيد لكامل الجنس البشريّ. هذا أبرز ما جعل الكنيسة الأرثوذكسيّة ترفض عقيدة الحبل بلا دنس.

أحيانًا، يؤدّي العجز عن الإنجاب، في هذه الأيام، إلى بعض الاضطرابات بين الأزواج. تعتبر الكنيسة الأرثوذكسيّة أنّ الأولاد هم من ثمار الزواج، لكنّهم لا يشكّلون هدفًا للزواج الذي لا يكون باطلًا إن لم ينتج عنه أولاد. الهدف من الزواج هو عيش سرّ المحبّة بين الزوجين أوّلًا، ثمّ مع الأولاد، إن وجدوا، بهدف الاتّحاد بالله الذي هو محبّة. إذًا، كما يقول الرسول بولس: «مشيئة الله هي قداستكم» (١تس ٤: ٣)، فالهدف من كلّ أمر نقوم به أو كلّ درب نسلكه في هذه الحياة هو القداسة. عندما حبلت حنّة أنجبت لنا أمّ كلمة الله، ونحن بدورنا علينا أن نعي أنّ المطلوب منّا هو أن نلد كلمة الله في العالم. إن كان الإنسان بتولًا أو متزوّجًا، إن أنجب أولادًا أو لم ينجب، إن كان عاملًا أو مكرّسًا لخدمة الربّ، في كلّ ذلك يجب أن يتذكّر أنّنا مدعوّون لحمل كلمة الله إلى العالم، وهذه أعظم عطيّة نلناها، وهي في متناول جميع المؤمنين.

أمسية ميلادية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، وفي إطار مهرجان «بيروت ترنّم»، وفي مناسبة ذكرى خمسين عامًا على وفاة بروتوبسالتي الكرسي الأنطاكي الأول المرحوم الأستاذ متري المر، تدعوكم جوقة القديس رومانوس المرنِّم للموسيقى الكنسيَّة إلى المشاركة في أمسية تراتيل ميلادية وذلك عند الساعة الثامنة من مساء السبت ١٤ كانون الأول ٢٠١٩ في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

من الخيرات واللحوم» أصدّقك، ولكنّي لا أصدّقك البتّة لو قلت لي إنّك عاجزٌ عن المغفرة لمن أساء إليك. بل وليس لدينا أيُّ عذرٍ لعدم قيامنا بذلك، لا سيّما أنّنا ملزَمون بتأدية هذه الصدقة مخرجين إياها لا من مخزننا إنّما من قلبنا. عليه، فلنحبَّ لا أصدقاءنا فحسب، بل أعداءنا أيضًا. لكنك تقول لي: «لقد كبّدني عدوّي الكثير من الألم بحيث لا يمكنني أن أحبّه على الإطلاق». إذًا، أتنظر إلى ما صنعه بك إنسانٌ ولا تنظر إلى ما صنعته أنت تجاه الله؟ إفحص ضميرك بحرص، فتجد أنّك اقترفت أخطاءً تجاه الله أكثر بكثير ممّا اقترفه إنسانٌ تجاهك ولم تُصلحها، ثمّ مدى الوقاحة في رغبتك أن يغفر الله لك الكثير فيما لا تقبل أنت أن تغفر القليل.

القديس كيساريوس